المحاضرة العاشرة:(جماعـــــــــــــة أبولـــــــو)

تسمية أبولو: نسبة إلى إله الشعر فأقتبس هذا الاسم من جماعة أبولو للدلالة على أن هذه الجماعة إمامها الأول هو الشعر.

ظروف النشـــــــــــأة:

لم تنته الخصومة التي بدأت بين جماعة الديوان وجماعة الإحياء بحسم الموقف الأدبي لصالح أحد التيارين المتخاصمين، فقد بقي شعراء الإحياء يحتفظون بمكانتهم الأدبية، وظل جمهور الشعب يتغنى بشعر زعيمه شوقي على الرغم من محاولات جماعة الديوان التي استهدفت تقويض مجده الأدبي.

أما شعراء الديوان الذين أفلحوا في تقديم تنظير نقدي جديد يستوحي النقد الأوروبي في الكثير من مبادئه وأصوله.

وفي ظل هذه الأجواء كان هناك مجموعة من الشعراء قد استهوتها دعوة الديوان بما نادت به من آراء نقدية جديدة، وما طلعت به على الناس من قصائد ذاتية تنحو منحىً عاطفياً جديداً ،أو تسلك في أسلوبها مسلكاً يخالف ما جرت عليه قصائد الشعر العربي حتى ذلكم العهد، وقد ألتف أولئك الشعراء حول **أحمد زكي أبو شادي** الذي عاد من انكلترا وتأثر بالشعر الرومانسي ونزعاته العاطفية الذاتية والإنسانية.

وكانت ظروف مصر السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية تذكي في نفوس هؤلاء الشعراء نار مشاعرهم الدافقة فقد أحكم الإنكليز قبضتهم على البلاد ونتيجة لذلك تعطل الدستور وتوقفت الانتخابات واشتد الصراع بين الأحزاب واضطهد رجالات الوطنية.

وكان كتاب الديوان الذي طبع عام 1921م وكتاب الغربال الذي تلاه بعد ذلكم بسنتين وقصائد شعراء الديوان وشعراء المهجر بمثابة الحافز الذي دغدغ أحلامهم الكبيرة في الشعر ونهجه. ولم تكن الطريق أمامهم صعبة وملتوية. كما كانت أمام جماعة الديوان فقد كانت ممهدة من شعر ونقد فاندفع شعراء أبولو يضربون على الوتر نفسه ويعمقون ما بدأ به شعراء الديوان وشعراء المهجر ويوسعون أبعاده حتى انتهوا إلى تيار رومانسي واضح.

س/ إلى ماذا دعا جماعة أبولو؟

رافق هذه الدعوة الشعرية النقدية تحرراً اجتماعياً وعقلياً يتمثل في:

1- الدعوة إلى تحرير المرأة وفتح كل السبل التي تتيح لها الاسهام في الحياة الأدبية والاجتماعية والعقلية.

2- وكان لإسهام العائدين من أوروبا قد حرر العقول مما التصق بها من أدران التخلف، ونظر هؤلاء إلى الحياة نظرة جديدة فاحصة وتحاول الإفادة من مذاهب الأدب ومناهج النقد ومسارات الشعر.

3- وقد هيأ هذا كله إلى الدعوة إلى تحرير الأدب والشعر والنظر إلى وظائفه ووسائله نظرة جديدة.

4- وكان أبو شادي مهيأ لهذا الدور ومن هنا حمل لواءه وكان إلى جواره مجموعة من الشعراء الشباب يؤمنون بما يؤمن من تحرر الإنسان من قيوده وتحقيق آماله وتطلعاته وكانوا جميعاً قد أخفقوا في تحقيق ما يسعون إليه.

5- لذلك راح بعضهم يشكون للطبيعة وظلالها الوافرة ما تنوء به الحياة والنفس، وسعى البعض الآخر إلى المرأة ينشد في عطفها السلوان ويطفئ في حبها ظمأ القلب الذي اكتوى بنار الحب، وراح آخرون يضربون في متاهات الفلسفة والتأمل وعبثاً حاولوا في تأملاتهم الفكرية ومواقفهم الفلسفية تحقيق ما تصبوا إليه نفوسهم.

6- لذلك كان الوتر الذي ضربوا عليه في معظم ما انتجوا من شعر هو الوتر الذي ضرب عليه الرومانسيون الأوروبيون، وهو أعمق مما حققه جماعة الديوان.

7- وهكذا تألقت جماعة أبولو في عام 1932م وصدر لها في السنة نفسها مجلتها التي سميت بالاسم نفسه.

طبيعـــة الجماعـــة وآفاقهـــا الأدبيـــــــــــة:

قررنا أن جماعة الديوان هي التي قادت حركة التجديد في مطلع هذا القرن. وأن جماعة أبولو قد سلكت الدرب نفسه بل راحت تمضي فيه توسيعاً وتعميقاً وانضم تحت لوائها مجموعة كبيرة من الشعراء الذين أسهموا في إرساء هذا التيار في طليعتهم: إبراهيم ناجي، علي محمود طه المهندس ، محمود حسن إسماعيل ،عبد اللطيف النشار، محمد عبد المعطي الهمشري، مختار الوكيل ،صالح جودة، عبد الحميد الديب ،محمد عبد الغني حسن وانضم إليها فيما بعد العديد من شعراء الأقطار العربية كان في مقدمتهم أبو القاسم الشابي.

عوامل ضعف جماعة أبولو التي أدت إلى إضعاف وحدتهم وتماسكهم:

1- الكثرة الكاثرة من الشعراء الذين انضموا إليها.

2- فقدان التخطيط؛ وذلك لأنها فسحت المجال أمام الجميع للانضمام إليها دون شروط.

3- يعد أحمد زكي أبو شادي مؤسساً للجماعة وهادماً لها في الوقت نفسه لأنه لم يلتزم بمنهج محدد فكان يكتب في كل الموضوعات ، كما كتب بالعامية.

الفرق بين جماعة أبولو وجماعة الديوان:

1- قامت جماعة الديوان على ثلاثة شعراء توحدت أفكارهم واتفقت ميولهم وثقافتهم والتقت طموحاتهم وتشابهت اتجاهاتهم في الشعر وفي النقد، في حين قامت جماعة أبولو على عدد كبير من الشعراء.

2- كان لكتاب الديوان الذي أصدره العقاد والمازني أثر في تحديد منهجهم وتوحيد مواقفهم أما جماعة أبولو فلم يكن لديهم مثل هذا الكتاب.

3- جمعت الوحدة الفكرية والمنهج والثقافة جماعة الديوان في حين ضعفت هذه الوحدة لدى جماعة أبولو لاختلاف الأمزجة وتباين الثقافة وكثرة عدد الذين انضووا تحت لواء الجماعة.

علل/ قائد الجماعـــة هو السبب الأول في فشلها؟

على الرغم مما أعلنه زعيم الجماعة – أبو شادي – بشأن أهدافها فإنه هو نفسه لم يكن له مذهب محدد أو اتجاه ثابت معين فقد جمع بين الشعر القصصي والدرامي والعاطفي والوصفي والفلسفي والتأملي، ولم يقف نشاطه الأدبي عند حد الشعر بل تجاوزه إلى النثر والنقد والعلوم الطبيعية والبايولوجية، ووقف كثيراً من جهده على إنشاء الجمعيات العلمية ورعايتها، وأولى عنايته بالترجمة الشعرية وغير الشعرية وهذا التنوع في جهوده الأدبية ونشاطاته الفكرية والعلمية قد أثر في طبيعة الجماعة لأن أبا شادي هو الزعيم الحقيقي لها.

وربما لم يختلف مؤرخو الأدب الحديث ونقاده في الحكم على طبيعة جماعة أبولو اختلافاً جوهرياً، وهو أنها جماعة أدبية تعنى بالأدب وترعى الأدباء لكنها على الرغم من هذا فإنها لا تقوم على أسس جامعة مانعة ولا تدعو إلى مذهب بعينه وأكبر دليل على ذلك هو انتاج رائدها الضخم أحمد زكي أبو شادي الذي كتب أوبريتات ومسرحيات شعرية، كما كتب الأغاني والقصائد بل والقصص الشعرية وهو في شعره يمتد من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل ومن الوعظ والارشاد إلى الفن للفن.

ويقول شوقي ضيف في حكمه على رائد الجماعة الذي تأثر بنماذج الرومانتيكيين والرمزيين: (وقد أحدثت هذه النماذج المختلفة وما رافقها من الاطلاع الواسع على الآداب الغربية ضرباً من الاختلاط في نفوس نفر من شعرائنا فإذا هو تتوزعه الاتجاهات والنزعات المختلفة وإذا شعره نماذج لا حصر لها. وخير من يمثل ذلك أحمد زكي أبو شادي الذي يشبه شعره بدواوينه الكثيرة، دائرة معارف شعرية، فبينما يسبح في الطبيعة والسماء إذا به ينزل إلى الأسواق والموالد وبينما يعتلي جبال الأولمب، ويستوحي الميثولوجيا والأساطير الإغريقية، إذا به يستوحي المركبات وطرق المواصلات الحديثة ، وبينما يتحدث في تاريخنا وآثارنا القديمة إذا به يتحدث عن الباعة في الأسواق، وبينما يتجه اتجاهاً وطنياً أو قومياً ، إذ هو يتجه اتجاهاً فردياً أو عالمياً ،وبينما يتكلم في الإنسانيات والمثاليات إذ هو يهبط إلى سفح الحياة فهو لا يستقر في موضع ولا في اتجاه بل يجري في كل الأنحاء حتى في لغته، فبينما يحافظ على الإطار التقليدي في بعض قصائده، إذا هو يتخلى عنه في قصائد أخرى مستخدماً أسلوباً ضعيفاً يحشوه بكلمات عامية ، ومن هنا كانت شخصيته في شعره مشتتة لا ضابط لها ولا نظام مع أنه كان مثقفاً ثقافة واسعة بالآداب الغربية ولكنه لم يستطع أن ينضوي تحت لواء مذهب من مذاهبها رغم نزعته الرومانسية).

صبت جماعة أبولو مياهها في التيار الرومانسي الوجداني الحالم وتكفي نظرة واحدة إلى عناوين دواوينهم وأسماء قصائدهم وإلى طبيعة شعرهم في الحب والتأمل والطبيعة لتؤكد نزوعهم إلى هذا التيار الرومانسي العاطفي، فلأبي شادي ديوان (الشعلة) و(فوق العباب)، ولإبراهيم ناجي (من وراء الغمام)، ولعلي محمود طه (المالح التائه)، ولحسن الصيرفي (الألحان الضائعة)، ولمحمود أبي الوفا (الأنفاس المحترقة).

أما النغم الحزين، والنظرة القاتمة، والهروب من الواقع، واللجوء إلى الطبيعة، والتأمل في الحياة والكون، والبكاء على حب ضائع، فهي موضوعات حام حولها شعراء الجماعة، وجعلوا من خيوطها مادة لشعرهم، ومن صورها تجسيداً لذواتهم

وعلى الرغم من أن هذا النهج الذي سلكه الشعراء في قصائدهم الذاتية إلا أنه في الوقت ذاته يشكل ثورة على نظام القصيدة في مضمونها، على الخصوص، وفي شكلها أيضاً.

أن الطبيعة التي نشأت في ظلها جماعة أبولو المختلفة عن طبيعة جماعة الديوان بعض الشيء، هي التي وسعت من حدود آفاقها الإنسانية، وابتعدت بها عن الخصومات التي حدثت لجماعة الديوان .

ولقد اتضح هذا في ما أعلنته الجماعة من أهداف، تسعى إلى خدمة أعضائها مادياً وأدبياً، وتتولى نشر إنتاجهم، وتشيع روح العمل الجماعي بين الأدباء ،وتقضي على هذه الفردية والأنانية والتخريب.

وكانت الظروف التي نشأت فيها هذه الجماعة كانت أفضل لكثير من الظروف التي نشأت فيها جماعة الديوان، إذ لم تكن أمام هذه الأخيرة، نماذج عربية تهتدي بها، سوى ما كان من تأثر شعرائها بالنماذج الأوروبية. أما جماعة ابولو فقد كان أمامها أكثر من نموذج، فجماعة الديوان قد وضعت نماذج شعرية أحدثت دوياً شديدا في مجال الشعر كما قدمت في ميدان النقد تنظيراً متكاملاً وهو نقد فيه الكثير من الأصالة. كما أفاد شعراء ابولو من شعر المهجر ونقده، ناهيك عن تأثرهم بالنماذج الرومانتيكية الأوروبية وكان أبو شادي قد قضى أكثر من عشر سنوات في انكلترا، ولا شك أنه قد تأثر بشعرائها.

وهكذا وجدت هذه الجماعة أمامها شيئاً كثيراً من الشعر ومن النقد تنتفع منه وتهتدي بنماذجه. ويمضي أبو شادي وصحبه، ليعلنوا عن تأسيس جمعيتهم التي لخصوا أهدافها بما يأتي:

1- السمو بالشعر العربي.
2- الرقي بمستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً.
3- والدفاع عن هؤلاء الشعراء ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.

أعمـــــــــال مجـــــــلة أبـــــولـــــو:

وإذا كان الدارسون يعدون كتاب (الديوان) دستوراً للجماعة. فقد كانت مجلة أبولو التي تأسست عام 1932م تمثل دستور الجماعة التي احتضنت نشاط شعرائها ونقادها. فقد تولت:

1- نشر القصائد والمقالات والأبحاث.

2- اتسعت لتشمل كل نشاط أدبي وفكري.

3- عنيت بترجمة الشعر الأوروبي من ذلك ترجمة أحمد زكي أبو شادي لعمريات فيتز جيرالد، وترجمة مختار الوكيل (إلى قبرة) للشاعر الانكليزي شيلي، وغيرها.

4- نشر القصص الشعرية والمطولات الفلسفية من أمثال قصيدة (ميلاد شاعر) لعلي محمود طه، و(شاطئ الأعراف) لمحمد عبد المعطي الهمشري، وقصة (البخت النائم) لعثمان حلمي.

5- نشرت ضرباً جديداً من الشعر وهو شعر التصوير كقصيدة (الماء في الصحراء) وقصيدة (في المعبد) وقصيدة (في الواحة) وقصيدة (نفرتيتي والمثال) لأبي شادي، وقصيدة (الصائدة) لإسماعيل سري، وراح بعض الشعراء ومنهم أبو شادي يستلهم المثيولوجيا (الأساطير وبدايات النشأة) كثيراً من قصائده من أمثال: (زيوس ويوروبا، وأفروديت، وأدونيس، وهرقل) وغيرها من القصائد التي تحتفي بالأشباح والأساطير والأسماء الأعجمية.

6- ترجمة الدراسات عن المذاهب الأدبية الأوروبية كالرومانسية والرمزية.

7- تبنت المجلة نشاط المرأة الأدبية والشاعرة من أمثال جميلة العلايلي، وزينب سليم ،وسهير القلماوي، ورباب الكاظمي، وسنية العقاد.

وبذلك يكون للمجلة دور الريادة في مد الجسور بين الشرق والغرب وفي احتضان الجديد في الشعر والأدب والفكر.

س/ عرفي شعر التصوير: ضرب جديد من الشعر لم يألفه الشعر العربي من قبل وهو نوع من القصائد التي تصف اللوحات الفنية وتجسد ما فيها من معان وأفكار ارتبط هذا الشعر بجماعة أبولو من قصائد هذا الشعر في الواحة، وفي المعبد، والصائدة وغيرها.

الاتجاهات الشعرية لجماعة أبولو:

عني شعراء أبولو عناية فائقة بمضمون القصيدة وتجلت هذه العناية في مجموعة من الاتجاهات التي تهدف إلى العناية بالإنسان وتصوير عواطفه وتجسيد مشاعره واحترام حريته كما تسعى إلى تحقيق نزوعه إلى التأمل وتفسير لجوئه إلى الطبيعة وإلى تأكيد نزعته الإنسانية. وقد حققت هذه المضامين طموحات هؤلاء الشعراء في تطوير فكر القصيدة العربية والسعي إلى هجر الموضوعات القديمة التي اقتصرت على المعاني المتداولة. ويستطيع الدارس لشعر هؤلاء أن يضع يده على مجموعة من الاتجاهات الشعرية وأهمها: الاتجاه العاطفي، والاتجاه التأملي، والاتجاه الوصفي.

الاتجاه الأول: الاتجاه العاطفي:

1- تهدف قصائده إلى التعبير عن ذات الشاعر.
2- تجسيد عواطفه في الحب وشعوره بالضياع.
3- السعي وراء الأحلام والبكاء على ما ضاع.

وحديث الشاعر عن نفسه أسلمه إلى الحزن واليأس والتشاؤم وانتهى به إلى القنوط والانطواء والهروب ووصف الهواجس النفسية.

4- تقترب قصائد هذا الاتجاه من الاتجاه الرومانسي الحالم الذي شاع في أوروبا أبان القرن التاسع عشر ووصلت طلائعه إلى شعر جماعة الديوان ولاسيما عبد الرحمن شكري الذي مهد لشعراء أبولو بهذا التيار الوجداني.

ويبدو أن المضمون الرومانسي أو الوجداني لشعرهم لم يستنفد ما في نفوسهم من حزن وألم وحنين فلجأوا إلى التعبير الرمزي ليشمل أهم المناطق المظلمة في نفوسهم وهم يسبرون غورها ليوحوا إلى القارئ بما فيها من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا عن طريق الرمز والإيحاء. وهكذا راح أبو شادي وناجي والهمشري والشابي وحسن كامل الصيرفي ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم يركبون صعاب هذا الأسلوب (الرمزي) ليشكل في شعرهم ظاهرة من أشد الظواهر الفنية وقصيدة **(بحر السماء)** لأبي شادي تستطيع أن تؤكد هذه الظاهرة، إذ يقول فيها(حفظ):

هتفت بي الأضواء فاستيقظت من نومي على قلق من الأضواء
ونظرت في أفق السماء فلم أجد إلا حديث الموج والدأماء

ولا خلاف أن الشاعر في البيتين قد قصد تصوير حالته النفسية من خلال الرمز الذي أضفى رقة وجمالاً وسحراً عليه ولاسيما في ما حققه الإيقاع اللفظي في العبارات الموحية مثل الأضواء وأفق السماء وحديث الموج وقد حقق الابهام الرمزي جوا نفسيا قصد إليه الشاعر ليوحي إلى القارئ بحالته النفسية المحطمة وليشعرنا بكل ما يعانيه من تمزق.

وعلى الرغم من أن كثير من شعراء أبولو قد استعملوا الرمز تعبيراً عن مواجدهم العاطفية إلا أن شاعرين اثنين شكل لديهما الرمز ظاهرة بارزة هما إبراهيم ناجي ومحمد عبد المعطي الهمشري.

والذي يهمنا من هذا الرمز أنه مثل في القصيدة العربية الحديثة تياراً جديداً بما حققه من استعمالات جديدة في الألفاظ والعبارات والتراكيب والصور وبما طوره في علاقات الألفاظ في المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من صور البلاغة فقد أفاد شعراء أبولو من نظرية تراسل الحواس التي شاعت لدى شعراء الرمز.

عرفي نظرية تراسل الحواس: هي النظرية التي تتبادل في ظلها الحواس كأن تتجاوب الألوان والعطور والأصوات، وهذه النظرية شاعت لدى الرمزيين ،إذ تهدف إلى استبدال حاسة بدل أخرى وهي جزء من التعبير الفني الخارج عن إطار المباشرة.

إن الاستعمالات الجديدة التي حققها شعراء أبولو جراء استعمالهم أسلوب الرمز قد أغنى لغة الشعر وتصويره بما لم يستطع أن يحققه حتى شعراء الديوان الذين مهدوا لهذا التيار وحققوا للقصيدة العربية الحديثة كثيراً من الثراء، وكان نتيجة هذا استخدام شعراء أبولو الكثير من التعبيرات الجديدة والتراكيب العربية من مثل: رياض من الخيال، أشعة المساء، ضفاف الخيال، دهاليز الظلال، الأفق الوضيء، معبد الأحزان، غياهب الروح، المساء يسرق عطراً، طيوف الجمال، خيمة الفناء.

وقد اقتصر هذا الاتجاه العاطفي على تجسيد التجارب الذاتية الفردية، فراح الشاعر يعالج حظه العاثر في الحب ويبكي ما آل إليه مصيره، وشعر بعضهم بالإحباط وفي مقدمتهم إبراهيم ناجي.

كما دفع هذا الشعور بالإحباط إلى اللجوء إلى المرأة ظناً منهم أن في هذا تعويضاً عن إحباطهم في تجاربهم ومنهم صالح جودة وعلي محمود طه إلا أنه لم يشكل ظاهرة كتلك التي جعلت من الحب نزعة مثالية ترتفع بفكرة الحب إلى التسامي والمثالية وسما بها سمواً لا نظير له في شعرنا العربي الحديث.

الاتجاه الثاني: الاتجاه التأملي:

لم يقف تعبير شعراء أبولو عن تجاربهم العاطفية بينهم وبين تطلعهم إلى التأمل والتفلسف في الحياة والكون والطبيعة. وربما كان ارتفاع تجاربهم العاطفية إلى مرتبة السمو في الحب هو الذي قادهم أحياناً إلى التأمل ليكشفوا به ذواتهم.

خصائص هذا الاتجاه عند جماعة أبولو:

1- تلون شعرهم التأملي بالقتامة.
2- تميز بالتشاؤم وتلفع بالسواد.
3- عبر عن حيرة نفوسهم وتمردهم على الحياة والمجتمع.
4- ربما قادهم إلى الاستسلام في آخر الأمر.

ويتزامن مع هذا التأمل خيبة آمالهم الشديدة وضياع أحلامهم الواسعة حتى ينتهي بهم ذلك إلى إحباط وشعور بالملل واليأس لذلك كثر حديثهم عن كل هذه المعاني ومن هذه القصائد (بين الحياة والموت) لمحمود عماد، و(شاطئ الأعراف) لمحمد عبد المعطي الهمشري و(اللغز) لحسن كامل الصيرفي و(السعادة) لأبي القاسم الشابي، و(أنت الله) لصالح جودة، و(وحدة الوجود) لرمزي مفتاح، و(الخلود) لأحمد زكي أبو شادي. يقول صالح جودة في الحيرة (حفظ):

قد حرت في الموت وفي أمره وما زاده الله في سره

الاتجاه الثالث: الاتجاه الوصفي:

ربما يكون هذا الاتجاه من أشد الاتجاهات شيوعاً لدى شعراء أبولو، لأنه يمثل في الشعر الرومانتيكي العالمي كله بوصفه اتجاهاً متميزاً بتلك الأصالة.

وشعر الطبيعة في أدبنا العربي قديم قدم الأدب نفسه، وشعراء أبولو قد تناولوه تناولاً جديداً حين حققوا الصلة بين مظاهر الطبيعة وبين نفوسهم واستوحوا هذه المظاهر تعبيراً عن حالاتهم النفسية المختلفة بل إنهم ما وصفوا الطبيعة إلا لكي يعبروا بها عن حالاتهم ومواقفهم. وفي هذا الاتجاه رسموا الصور الجديدة وحققوا المعاني المبتكرة وبنوا قصائدهم بناءً خاصاً يتفق مع تجاربهم الشعورية.

وخير ما يمثل هذا الاتجاه قصيدة إبراهيم ناجي الذي استوحى البحر تعبيراً عن حالته النفسية الممزقة وتجسيداً لشعوره بالضياع وإحساساً بتفاهة الحياة، يقول مناجياً البحر : (حفظ)

قلت للبحر إذ وقفت مساء كم أطلت الوقف والاصغاء
إنما يفهم الشبيه شبيهاً أيها البحر نحن لسنا سواء
أنت عاتٍ ونحن حرب الليالي مزقتنا وصيرتنا هباء